فصل

[فى قصة وادى القُرَى وتيماء وفَدَك]

ثم انصرف رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادى القُرَى، وكان بها جماعة من اليهود، وقد انضاف إليهم جماعة من العرب، فلما نزلوا استقبلتهم[١] يهود بالرمى، وهم على غير تعبئة، فقال الناس: قُتِل مدعم عبد رسول الله ﷺ، هنيئا له الجنة، فقال النبى ﷺ: «كلا، والذى نفسى بيده إن الشَّمْلَة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا»، فلما سمع بذلك الناس، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشِرَاك، أو شراكين، فقال النبى ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار»[٢].

فَعَبَّأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، ورَايةً إلى الْحُبَابِ بن المنذر، ورايةً إلى سهل بن حُنَيْف، ورايةً إلى عَبَّاد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام، فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه علىّ فقتله، حتى قتل منهم أحد[٣] عشر رجلا، كلما قُتِلَ منهم رجل دعا من بقى إلى الإسلام، وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم، فيصلى[٤] بأصحابه.

ثم يعود، فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا [ما][٥] بأيديهم، وفتحها عنوة،

---

(١) فى هـ: «استقبلهم»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٢) البخارى فى المغازى (٤٢٣٤)، ومسلم فى الإيمان (١١٥ / ١٨٣).
(٣) فى هـ: «إحدى»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٤) فى هـ: «فصلى»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٥) ليست فى ق، ك، وما أثبتناه من خ، هـ.

وغنمه الله أموالهم، وأصابوا أثاثا، ومتاعا كثيرا، وأقام رسول الله ﷺ، بوادى القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادى القرى، وترك الأرض والنخل بأيدى اليهود، وعاملهم عليها .

فلما بلغ يهود تيماء ما واطأ عليه رسول الله ﷺ، أهل خيبر، وفَدَك، ووادى القرى، صالحوا رسول الله ﷺ، وأقاموا بأموالهم، فلما كان عمر بن الخطاب ﷺ، أخرج يهود خيبر، وفدك، ولم يخرج أهل تيماء، ووادى القرى؛ لأنهما داخلتان فى أرض الشام، ويرى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز، وأن ما وراء ذلك من الشام، وانصرف رسول الله ﷺ راجعا إلى المدينة .

فلما كان ببعض الطريق سار ليله حتى إذا كان ببعض الطريق عَرَّس، وقال لبلال : «اكلأ لنا الليل»[1]، [فصَلَّى بلال ما قُدِّر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تقاربت الفجر استند بلال إلى راحلته مُوَاجه الفجر]، فغلبت بلالا عيناه، وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ النبى ﷺ، ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا، ففزع رسول الله ﷺ، فقال : «ما هذا يا بلال؟» فقال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فاقتادوا رواحلهم شيئا حتى خرجوا من ذلك الوادى، ثم قال : «هذا واد به شيطان» .

فلما جاوزه أمرهم أن ينزلوا، وأن يتوضؤوا، ثم صلى سنة الفجر، ثم أمر بلالا، فأقام الصلاة، وصلى بالناس، ثم انصرف، وقال[2] : «يا أيها الناس، إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردها إلينا فى حين غير هذا، فإذا نام أحدكم عن الصلاة، أو نسيها، فليصلها كما كان يصليها فى وقتها»، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبى بكر،

---

(١) فى هـ : «اكلأنا الليل»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٢) فى ق : «ثم قال» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

فقال : «إن الشيطان أتى بلالا، وهو قائم يصلى، فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبى حتى نام»، ثم دعا رسول الله ﷺ بلالا، فأخبره بمثل ما أخبر به أبا بكر[١].

وقد روى أن هذه القصة كانت فى مرجعهم من الحديبية، وروى أنها كانت فى مرجعه من غزوة تبوك، وقد روى قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حُصَيْن، ولم يوقت مدتها[٢]، ولا ذكر فى أى غزوة كانت، وكذلك رواها أبو قتادة كلاهما فى قصة طويلة محفوظة[٣].

وروى مالك، عن زيد بن أسلم : أن ذلك كان بطريق مكة، وهذا مرسل[٤].

وقد روى شعبة، عن جامع بن شداد، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبى علقمة، قال : سمعت عبد الله بن مسعود قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ زمن الحديبية، فقال النبى ﷺ : «من يكلؤنا؟» فقال بلال : أنا، وذكر القصة[٥].

ولكن قد اضطربت الرواة فى هذه القصة، فقال عبد الرحمن بن مهدى، عن شعبة، عن جامع : إن الحارس فيها كان ابن مسعود، وقال غندر، عنه : إن الحارس كان بلالا .

واضطربت الرواية[٦] فى تاريخها، فقال المعتمر بن سليمان : عن شعبة عنه : إنها كانت فى غزوة تبوك، وقال غيره عنه : إنها كانت فى مرجعهم من الحديبية، فدل على وَهْمٍ وقع فيها، ورواية الزهرى، عن سعيد سالمة من ذلك، وبالله التوفيق .

---

(١) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٨٠ / ٣٠٩)، وأبو داود فى الصلاة (٤٣٥)، والترمذى فى تفسير القرآن (٣١٦٣)، وابن ماجه فى الصلاة (٦٩٧) . وما بين المعقوفين من صحيح مسلم .

(٢) البخارى فى المناقب (٣٥٧١)، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٨٢ / ٣١٢) .

(٣) البخارى فى مواقيت الصلاة (٥٩٥)، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٨١ / ٣١١) .

(٤) مالك فى الموطأ فى وقوت الصلاة (١ / ١٤) (٢٦) .

(٥) أبو داود فى الصلاة (٤٤٧)، وأحمد (١ / ٣٨٦)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٦٥٧) : «إسناده صحيح» .

(٦) فى ق : «الرواة» ، وما أثبتناه من خ، ك ، هـ.

فصل

فى فقه هذه القصة

فيها : أن من نام عن صلاة، أو نسيها، فوقتها حين يستيقظ، أو يذكرها .

وفيها : أن السنن الرواتب تُقْضَى كما تُقْضَى الفرائض، وقد قضى رسول الله ﷺ سنة الفجر معها، وقضى سنة الظهر، وحدها، وكان هديه ﷺ قضاء السنن الرواتب مع الفرائض .

وفيها : أن الفائتة يُؤَذَّن لها ويقام، فإن فى بعض طرق هذه القصة : أنه أمر بلالا فنادى بالصلاة، وفى بعضها : فأمر بلالا فأذن، وأقام[1] . ذكره أبو داود .

وفيها : قضاء الفائتة جماعة .

وفيها : قضاؤها على الفور؛ لقوله ﷺ : «فليصلها إذا ذكرها»، وإنما أخرها عن مكان مُعَرَّسِهم قليلا؛ لكونه مكانا فيه شيطان، فارتحل منه[2] إلى مكان خير منه، وذلك لا يُفَوِّت المبادرة إلى القضاء، فإنهم فى شغل الصلاة، وشأنها .

وفيها : تنبيهه على اجتناب الصلاة فى أمكنة الشيطان كالحمام، والحُشِّ[3] بطريق الأولى، فإن هذه منازله التى يأوى إليها، ويسكنها، فإذا كان النبى ﷺ ترك المبادرة إلى الصلاة فى ذلك الوادى، وقال : إن به شيطانا، فما الظن بمأوى الشيطان، وبيته .

---

(١) فى خ : «فأقام»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.

(٢) فى ق: «عنه» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٣) الحُشّ فى الأصل : البستان، والمراد : أماكن قضاء الحاجة، وكانوا يقضون حاجتهم فى البستان لذا سُمِّى بالحش .

فصل

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التى كانوا منحوهم إياها من النخيل، حين صار لهم بخيبر مال، ونخيل وكانت أم سليم وهى أم أنس بن مالك ـ أعطت رسول الله ﷺ عِذَاقا، فأعطاهن أم أيمن مولاته، وهى أم أسامة بن زيد، فرد رسول الله ﷺ على أم سليم عذاقها، وأعطى أم أيمن مكانهن من حائطه مكان كل عَذْق عشرة[1].

(١) البخارى فى الهبة (٢٦٣٠)، ومسلم فى الجهاد والسير (١٧٧١ / ٧٠). والعَذق: النخلة.

obeikandl.com

فصل

[فى بَعْث النبى ﷺ السَّرَايا]

وأقام رسول الله ﷺ فى المدينة بعد مقدمه من خيبر إلى شوال، وبعث فى خلال ذلك السرايا .

فمنها : سرية أبى بكر الصديق ﷺ إلى نجد قِبَلَ بنى فَزَارَة، ومعه سلمة بن الأكوع، فوقع فى سهمه جارية حسناء، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ، وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة[١] .

ومنها : سرية عمر بن الخطاب ﷺ فى ثلاثين راكبا نحو هوازن، فجاءهم الخبر، فهربوا وجاؤوا محالهم، فلم يلق منهم أحدا، فانصرف راجعا إلى المدينة، فقال له الدليل : هل لك فى جمع من خَثْعَم جاؤوا سائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر : لم يأمرنى رسول الله ﷺ بهم، ولم يَعْرِضْ لهم[٢] .

ومنها : سرية عبد الله بن رواحة[٣] فى ثلاثين راكبا، فيهم عبد الله بن أُنَيْس، إلى يُسَيْر[٤] بن رِزَام اليهودى، فإنه بلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غَطَفَان؛ ليغزوه بهم، فأتوه بخيبر، فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى تبعهم فى ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين .

---

(١) مسلم فى الجهاد والسير (١٧٥٥ / ٤٦)، وأبو داود فى الجهاد (٢٦٩٧) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٨٩)، وانظر: سبل الهدى والرشاد (٦ / ٢٠٥) .

(٣) قال الصالحى فى «سبل الهدى والرشاد» (٦ / ١٧٨) : «ذكر البيهقى وتبعه فى زاد المعاد : هذه السرية بعد خيبر ...» قلت ـ الصالحى : «كونها قبل خيبر أظهر، قال فى القصة : إنه سار فى غطفان وغيرهم لحرب رسول الله ﷺ بموافقة يهود ذلك، وذلك قبل فتح خيبر قطعًا إذ لم يصدر من يهود بعد فتح خيبر شىء من ذلك» .

(٤) فى المخطوطات «البشير» بدل «يسير»، والصواب ما أثبتناه من مصادر التخريج .

فلما بلغوا قرقرة نيار ـ وهى من خيبر على ستة أميال ـ ندم يسير، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس، ففطن له عبد الله بن أنيس فزجر بعيره، ثم اقتحم عن البعير يسوق القوم حتى إذا استمكن من يسير[١] ضرب رجله فقطعها واقتحم يسير وفى يده مخرش[٢] من شَوْحَط[٣]، فضرب به وجه عبد الله، فشجه مأمومة، فانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل من اليهود[٤] أعجزهم شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، وقدموا على رسول الله ﷺ، فبصق فى شجة عبد الله بن أنيس، فلم تَقِحْ، ولم تؤذه حتى مات[٥].

ومنها: سرية بشير بن سعد[٦] الأنصارى إلى بنى مُرَّة بفَدَك فى ثلاثين رجلا، فخرج إليهم، فلقى رعاء الشاء، فاستاق الشاء، والنَّعَم، ورجع إلى المدينة، فأدركه الطلب عند الليل، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فنى نبل بشير وأصحابه، فولى منهم من ولى، وأصيب من أصيب وقاتل بشير قتالا شديدا، ورجع القوم بنعمهم، وشائهم، وتحامل بشير حتى انتهى إلى فدك فأقام عند يهود حتى برئت جراحته[٧]، فرجع إلى المدينة.

ثم بعث رسول الله ﷺ سرية إلى الحُرُقَات من جهينة، وفيهم أسامة بن زيد، فلما دنا منهم بعث الأمير الطلائع، فلما رجعوا بخبرهم أقبل حتى إذا دنا منهم ليلا، وقد احتلبوا[٨]، وهدؤوا. قام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أوصيكم

---

(١) فى خ: «استمكن تمكن البشير»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) فى خ: «محش»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ. والمِخْرَش: عَصًا مُعوَجَّة الرأس.

(٣) شوحط: بفتح الشين المعجمة، وسكون الواو، وفتح الحاء، وبالطاء المهملتين وهو نوع من شجر الجبال، تتخذ منه القِسِىّ.

(٤) فى ق: «يهود»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٧٠، ٧١)، ودلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٢٩٣)، وانظر: سبل الهدى والرشاد للصالحى (٦ / ١٧٦ ـ ١٧٨).

(٦) فى هـ: «كعب»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٧) فى هـ: «جراحه»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٨) فى هـ: «احتبلوا»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعونى، ولا تعصونى، ولا تخالفوا أمرى، فإنه لا رأى لمن لا يطاع .

ثم رتبهم، وقال : يا فلان، أنت وفلان، ويا فلان، أنت وفلان، لا يفارق كل منكما[١] صاحبه، وزميله، وإياكم أن يرجع أحد منكم، فأقول : أين صاحبك؟ فيقول : لا أدرى، فإذا كبرت، فكبروا، وجردوا السيوف، ثم كَبَّرُوا، وحملوا حملة واحدة وأحاطوا بالقوم، وأخذتهم سيوف الله، يضعونها حيث شاؤوا منها وشعارهم : أمِتْ أمِتْ، وخرج أسامة فى أثر رجل منهم يقال له مِرْداس بن نَهيك فلما دنا منه، ولَحِمَهُ بالسيف قال : لا إله إلا الله، فقتله، ثم استاقوا الشاء، والنَّعَم، والذرية، وكانت سهمانهم عشرة أبعرة لكل رجل، أو عدلها من النعم .

ولما قدموا على رسول الله ﷺ أخبر بما صنع أسامة، فكبر ذلك عليه، وقال : «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» فقال : إنما قالها، متعوذا، قال : «فهلا شققت عن قلبه» ثم قال : «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة»، فما زال يكرر ذلك عليه حتى تمنى أن يكون أسلم يومئذ[٢] . وقال : يا رسول الله، أعطى الله عهدا ألا أقتل رجلا يقول : لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ : «بعدى»، فقال أسامة : بعدك .

فصل

وبعث غالب بن عبد الله الكلبى إلى بنى المُلَوَّح بالكَدِيد[٣]، وأمره أن يغير عليهم .

---

(١) فى ق : «منكم»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٢) البخارى فى المغازى (٤٢٦٩)، ومسلم فى الإيمان (٩٦ / ١٥٨)، وأبو داود فى الجهاد (٢٦٤٣)، وأحمد (٥ / ٢٠٧)، ودلائل النبوة (٤ / ٢٩٦، ٢٩٧) .

الحُرَقَات : نسبة إلى الحُرَقَة واسمه جُهيش ابن عامر بن ثعلبة بن مودعة من جُهينة، تَسمَّى الحرقة؛ لأنه حرق قوما بالقتل فبالغ فى ذلك .

(٣) فى ق : «بالكديدة» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

قال ابن إسحاق : فحدثنى يعقوب بن عتبة، عن مسلم بن عبد الله الجهنى، عن جُنْدُب بن مَكِيث الجهنى، قال : كنت فى سريته، فمضينا حتى إذا كنا بقَدِيد لقينا به الحارث بن مالك بن البَرْصَاء الليثى، فأخذناه، فقال : إنما جئت لأسلم، فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك، فأوثقه رباطا، وخَلَّفَ عليه رويجلا أسود، وقال له : امكث معه حتى نمر عليك، فإن نازعك فاحتز[1] رأسه .

ومضينا حتى أتينا بطن الكديد، فنزلناه عشية بعد العصر، فبعثنى أصحابى إليه فعمدت إلى تل يطلعنى على الحاضر، فانبطحت عليه، وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم، فنظر، فرآنى منبطحا على التل، فقال لامرأته : إنى لأرى سوادا على هذا التل ما رأيته فى أول النهار، فانظرى لا تكون[2] الكلاب اجترت بعض أوعيتك، فنظرت فقالت : لا والله لا أفقد شيئا، قال : فناولينى قوسى وسهمين من نبل، فناولته فرمانى بسهم، فوضعه فى جنبى، فنزعته، فوضعته، ولم أتحرك، ثم رمانى بالآخر، فوضعه فى رأس منكبى، فنزعته، فوضعته ولم أتحرك، فقال لامرأته : أما، والله لقد خالطه سهامى[3]، ولو كان رَبيئة لتحرك، فإذا أصبحت فابتغى سهمى، فخذيها لا تمضغها الكلاب على .

قال : فأمهلناهم حتى إذا راحت روائحهم، واحتلبوا، وسكنوا، وذهبت عتمة الليل، شننا عليهم الغارة، فقتلنا من قتلنا، واستقنا النعم، فوجهنا قافلين به، وخرج صريخهم إلى قومهم، وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك، وصاحبه، فانطلقنا به معنا، وأتانا صريخ الناس، فجاءنا ما لا قِبَلَ لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا

(١) فى خ : «فخر» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.
(٢) فى ق: «تكن»، وما أثبتناه من خ، ك ، هـ .
(٣) فى هـ : «سهماى»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

وبينهم إلا بطن الوادى من قديد، أرسل الله عز رجل من حيث شاء سيلا، لا والله ما رأينا قبل ذلك مطرا، فجاء بما لا يقدر أحد يَقْدَم عليه، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه، ونحن نحدوها[١]، فذهبنا سراعا حتى أسندناها فى المُشَلَّل، ثم حدرناها عنه[٢]، فأعجزنا القوم بما فى أيدينا[٣] .

وقد قيل : إن هذه السرية هى السرية التى قبلها، والله أعلم .

فصل

ثم قدم حُسَيْل بن نُوَيْرَة، وكان دليل النبى ﷺ إلى خيبر، فقال له النبى ﷺ : «ما وراءك؟» قال : تركت[٤] جمعا من يَمَن، وغَطَفَان، وحَيَّان، وقد بعث إليهم عيينة : إما أن تسيروا إلينا، وإما أن نسير إليكم، فأرسلوا إليه أن سر إلينا، وهم يريدونك، أو بعض أطرافك، فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر، وعمر، فذكر لهما ذلك، فقالا جميعا : ابعث بشير بن سعد، فعقد له لواء، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأمرهم أن يسيروا الليل، ويكمنوا النهار، وخرج معهم حسيل دليلا .

فساروا الليل، وكمنوا النهار، حتى أتوا أسفل خيبر، حتى دنوا من القوم، فأغاروا على سرحهم، وبلغ الخبر جمعهم، فتفرقوا، فخرج بشير فى أصحابه[٥]، حتى أتى محالهم، فيجدها ليس بها أحد، فرجع بالنعم .

فلما كانوا بسلاح لقوا عينا لعيينة، فقتلوه، ثم لقوا جمع عيينة، وعيينة لا يشعر

(١) فى هـ : «نحذوها»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .
(٢) فى هـ : «حدونا عنه»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٥٦ ـ ٢٥٨)، ودلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٢٩٨) . والرَّبيئة : هو العين والطليعة الذى ينظر للقوم لئلا يَدْهَمهم عدوّ .
(٤) فى خ : «ترك» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.
(٥) فى ق : «وأصحابه» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

بهم فناوشوهم، ثم انكشف جمع عيينة، وتبعهم أصحاب رسول الله ﷺ، فأصابوا منهم رجلين، فقدموا بهما على النبى ﷺ، فأسلما، فأرسلهما[١].

وقال الحارث بن عوف لعيينة، ولقيه منهزما تعدو به فرسه: قف، فقال: لا أقدر، خلفى الطلب، فقال له الحارث: أما آن لك أن تبصر بعض ما أنت عليه، وأن محمدا قد وطأ البلاد، وأنت تُوضَع فى غير شىء؟ قال الحارث: فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل وما أرى أحدا، ولا طلبوه، إلا الرعب الذى دخله.

فصل

وبعث رسول الله ﷺ ابن أبى حَدْرَد الأسلمى[٢] فى سرية، وكان من قصته ما ذكر ابن إسحاق: أن رجلا من جُشَمَ بن معاوية يقال له: قيس بن رفاعة، أو رفاعة ابن قيس، أقبل فى عدد كثير، حتى نزلوا بالغابة، يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف فى جشم، قال: فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين، فقال: «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر، وعلم»، فقدم إلينا شَارِفا عَجْفَاء[٣]، فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضَعْفًا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلت، وما كادت، وقال: تَبلَّغوا على هذه.

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل، والسيوف، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس، فكمنت فى ناحية، وأمرت صاحبى، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم، فقلت لهما: إذا سمعتمانى قد كبرت، وشددت فى ناحية العسكر، فكبرا، وشدا معى، فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غِرّة، أو نرى شيئا، وقد غشينا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٩١، ٩٢)، ودلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٣٠١، ٣٠٢).

(٢) فى خ، هـ: «أبا حدرد الأسلمى»، وما أثبتناه من ق، ك.

(٣) الشَّارف: الناقة المُسِنَّة، وعَجْفاء: أى ضعيفة هزيلة.

الليل حتى ذهبت فَحْمَة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرح فى ذلك البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله فى عنقه، وقال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ولقد أصابه شر[١]، فقال نفر ممن معه : والله لا تذهب نحن نكفيك، فقال: والله لا يذهب إلا أنا، قالوا : فنحن معك، قال : والله لا يتبعنى[٢] منكم أحد .

وخرج حتى يمر[٣] بى، فلما أمكننى نفحته بسهم، فوضعته فى فؤاده، فوالله ما تكلم، فوثبت إليه، فاحتززت[٤] رأسه، ثم شددت فى ناحية العسكر، وكبرت، وشد صاحبای وكبرا، فوالله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه : عندك عندك[٥] بكل ما قدروا عليه من نسائهم، وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة، وغنما كثيرة، فجئنا بها رسول الله ﷺ، وجئت برأسه أحمله معى فأعطانى من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيرا فى صداقى، فجمعت إلىَّ أهلى، وكنت قد تزوجت امرأة من قومى، فأصدقتها مائتى درهم، فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحى، فقال : والله ما عندى ما أعينك، فلبثت أياما، ثم ذكر هذه السرية[٦] .

فصل

وبعث سرية إلى إضَم، وكان فيهم أبو قتادة، ومُحَلِّم بن جَثَّامَةَ فى نفر من المسلمين، فمر بهم عامر ابن الأضبط الأشجعى على قَعُودٍ له معه مُتيِّع له، ووَطْبٌ

---

(١) فى هـ : «شىء» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.
(٢) فى خ : «يتبغى»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٣) فى هـ : «مر» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.
(٤) فى ق: «فاجتززت» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.
(٥) عندك عندك : كلمتان معناهما الإغراء .
(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٧٥، ٢٧٦)، ودلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٣٠٣، ٣٠٤) .

من لبن، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فأمسكوا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره، ومتيعه .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فنزل فيهم القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء]، فلما[1] قدموا أخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أقتلته بعدما قال آمنت بالله؟»[2] .

ولما كان عام خيبر جاء عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط، وهو سيد قيس، وكان الأقرع بن حابس يرد عن محلم وهو سيد خِنْدِف، فقال رسول الله لقوم عامر : «هل لكم أن تأخذوا الآن منا خمسين بعيرا وخمسين، إذا رجعنا إلى المدينة؟»، فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أُذِيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائي، فلم يزل به حتى رضوا بالدية، فجاؤوا بمحلم حتى يستغفر له رسول الله ، فلما قام بين يديه، قال : اللهم لا تغفر لمحلم، وقالها ثلاثا، فقام، وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه[3] .

قال ابن إسحاق : وزعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك، قال ابن إسحاق :

---

(١) فى هـ : «فتبينوا الآية فلما» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٢) أحمد (٦ / ١١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١١) : «رواه أحمد والطبرانى، ورجاله ثقات»، وانظر: سبل الهدى والرشاد (٦ / ٢٩٤).

والقَعُود من الدواب : ما يقتعده الرجل للركوب والحِمْل . والمُتيِّع : الكتلة من اللبأ الثخينة . والوَطْب : الزِّق الذى يكون فيه السَّمن واللبن، ويكون من جلد الجَذَع فما فوقه .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٧٤)، وأخرجه أبو داود فى الديات (٤٥٠٣)، وابن ماجه فى الديات (٢٦٢٥)، وأحمد (٥ / ١١٢)، وضعفه الألبانى .

وحدثنى سالم أبو النضر، قال : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس، فخلا بهم، فقال : يا معشر قيس، سألكم رسول الله ﷺ قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس، فمنعتموه إياه، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ، فيغضب الله عليكم لغضبه، أو يلعنكم رسول الله ﷺ، فيلعنكم الله بلعنته لكم، والله لتسلمنه [إلى رسول] [1] الله ﷺ أو لآتين بخمسين من بنى تميم كلهم يشهدون أن القتيل ما صلى قط، فلأبطلن دمه، فلما قال ذلك : أخذوا الدية .

(١) فى هـ : «لرسول» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

obeikandl.com

فصل

فى سرية عبد الله بن حُذَافة السَّهْمي

ثبت فى الصحيحين، من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال : نزل قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] فى عبد الله بن حذافة السهمى، بعثه رسول الله ﷺ فى سرية[(١)] .

وثبت فى الصحيحين أيضا من حديث الأعمش، عن سعيد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على رضي الله عنه ، قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار على سرية بعثهم، وأمرهم أن يسمعوا له، ويطيعوا قال : فأغضبوه فى شىء، فقال : اجمعوا لى حطبا، فجمعوا، فقال : أوقدوا لى نارا، فأوقدوا، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا؟ قالوا : بلى، قال : فادخلوها، قال : فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال : فسكن غضبه، وطفئت النار، قال : فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له، فقال : «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة فى المعروف»[(٢)] وهذا هو عبد الله بن حذافة السهمى[(٣)] .

فإن قيل : فلو دَخَلُوها دخلوها طاعة لله[(٤)] ورسوله، فى ظنهم، فكانوا متأولين مخطئين فكيف يخلدون فيها؟

قيل : لما كان إلقاء نفوسهم فى النار معصية يكونون بها قاتلى أنفسهم، فَهَمُّوا

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٥٨٤)، ومسلم فى الإمارة (١٨٣٤ / ٣١) .
(٢) البخارى فى المغازى (٤٣٤٠)، ومسلم فى الإمارة (١٨٤٠ / ٣٩) .
(٣) أحمد (٣ / ٦٧)، وابن ماجه فى الجهاد (٢٨٦٣)، وحسنه الألبانى .
(٤) فى خ : «لدخلوها طاعة الله»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

بالمبادرة إليها من غير اجتهاد منهم : هل هو طاعة، وقربة، أو معصية؟ كانوا مُقْدِمين على ما هو محرم عليهم، ولا تَسُوغ طاعة ولى الأمر فيه؛ لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، فكانت طاعة من أمرهم بدخول[١] النار معصية لله، ورسوله، فكانت هذه الطاعة هى سبب العقوبة؛ لأنها نفس المعصية، فلو دخلوها لكانوا عصاة لله ورسوله، وإن كانوا مطيعين لولى الأمر، فلم تدفع طاعتهم لولى الأمر معصيتهم لله ورسوله؛ لأنهم قد علموا أن من قتل نفسه فهو مستحق للوعيد، والله قد نهاهم عن قتل أنفسهم، فليس لهم أن يُقْدِموا على هذا النهى طاعة لمن لا تجب طاعته إلا فى المعروف .

فإذا كان هذا حكم من عذب نفسه طاعة لولى[٢] الأمر، فكيف بمن عذب مسلمًا لا يجوز تعذيبه طاعة لولى الأمر .

وأيضا : فإذا كان الصحابة المذكورون لو دخلوها لما[٣] خرجوا منها مع قصدهم طاعة الله ورسوله بذلك الدخول، فكيف بمن حمله على ما لا يجوز من الطاعة الرغبةُ، والرهبةُ الدنيوية .

وإذا كان هؤلاء لو دخلوها لما[٤] خرجوا منها، مع كونهم قصدوا طاعة الأمير، وظنوا أن ذلك طاعة لله، ورسوله، فكيف بمن دخلها من هؤلاء الملبسين إخوان الشياطين، وأوهموا الجهال أن ذلك من ميراث إبراهيم الخليل، وأن النار قد تصير عليهم بردا وسلاما كما صارت على إبراهيم، وخيار هؤلاء ملبوس عليه يظن أنه دخلها بحال رحمانى، وإنما دخلها بحال شيطانى، فإن[٥] كان لا يعلم بذلك، فهو

---

(١) فى هـ : «بدخولهم» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.
(٢) فى خ : «أولى» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.
(٣،٤) فى ق : «ما»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .
(٥) فى ق: «فإذا»، وما أثبتناه من خ، ك ، هـ.

ملبوس عليه، وإن[1] كان يعلم به، فهو مُلَبِّس على الناس، يوهمهم أنه من أولياء الرحمن، وهو من أولياء الشيطان، وأكثرهم يدخلها بحال بهتانى وتَخيُّل إنسانى، فهم فى دخولها فى الدنيا ثلاثة أصناف : ملبوس عليه، ومُلَبِّس، ومُتَخَيِّل، ونار الآخرة أشد عذابا وأبقى .

(١) فى هـ : «وإذا» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

obeikandl.com